

## الملاح الوظيفية عند علماء العربية مقارنة في ضوء نظرية النحو الوظيفي أ، عادل رماش، جامعة سطيف

### ملخص:

يربط كثير من اللغويين اللغة بالوظيفة التي وضعت من أجلها وهي التواصل و التبليغ، ذلك أن لا معنى للغة إن لم يستطع أصحابها أن يتواصلوا بها ، وتتجلى هذه الوظيفة اللسانية في مستويات اللغة الأربعة: (صوت، صرف، نحو ودلالة) ، ومنهم من يضيف مستوى آخر وهو المستوى التداولي ، كنظرية النحو الوظيفي، لذا يسعى هذا المقال لبيان ما ورد في هذه النظرية من مفاهيم لغوية ومقاربتها مع ما خطه علماؤنا في التراث اللغوي و النحوي العربي.

يربط كثير من اللغويين اللغة بالوظيفة التي وضعت من أجلها وهي التواصل والتبليغ، ذلك أن لا معنى للغة إن لم يستطع أصحابها أن يتواصلوا بها ، وتتجلى هذه الوظيفة اللسانية في مستويات اللغة الأربعة: (صوت، صرف، نحو ودلالة) ، لأن كل عنصر في النظام اللغوي يؤدي وظيفة معينة في سياق محدد ، ويعمل على إثبات وجوده داخل هذا النظام . هذا ما حدا بمجموعة من الباحثين إلى تركيز جهودهم على إبراز الوظائف المختلفة للعناصر اللغوية، فنشأ بذلك اتجاه خاص يُعنى بالبحث في الوظيفة اللسانية، فنظر كل واحد منهم إلى الوظيفة في اللغة نظرة خاصة، وبحث عنها في مستوى خاص من النظام اللغوي، فكان من حاول استخراجها من المستوى الصوتي، وهناك من بحث عنها في المستوى التركيبي، وآخر تجلت له في المستوى الدلالي. غير أنه بتطور الدراسات اللسانية ظهر مستوى آخر من شأنه أن تدرس فيه الوظيفة التواصلية التبليغية، ألا وهو المستوى التداولي؛ أي ما يؤديه تداول اللغة بين متكلم ومستمع في سياق اجتماعي ومادي وثقافي معين، وقد نحا هذا المنحى لسانيون جدد وعلى رأسهم - سمون ديك - أسسوا نموذجاً وظيفياً جديداً، وهو في أصله امتداد للمدرسة الوظيفية السابقة، غير أن هؤلاء اللسانيين الجدد أضافوا إلى أفكار سابقهم أفكاراً أخرى استمدوها من اللسانيات التداولية، وعلم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، محاولين استغلال هذه الأفكار في تعليم اللغة وبناء النصوص وتحليلها . وقد تأثر بهذا الاتجاه الوظيفي الجديد فئة من اللسانيين العرب، حاولوا ربط هذا المنهج الجديد بنحونا العربي وحاولوا تطبيق نظرياته عليه، وكان من بين هؤلاء،

أحمد المتوكل، حيث تجلت معالم الوظيفية عنده في عدد من المؤلفات التي تبني فيها نموذج "النحو الوظيفي" عند سمون ديك، تبنيًا خالصًا وعمل على إثراء الدراسات اللغوية بأفكار هذا المنهج من خلال جهوده الجبارة وإسهاماته الكبيرة. وإذا كان المنحى الوظيفي هو المنهج الذي يركز في التحليل اللغوي لتراكيب اللغة على وصف وتفسير العبارات اللغوية المعينة في حالة تأدية أغراض بعينها في مقامات محددة بالنظر إلى الوظيفة التي تؤديها في الكلام؛ فبحسب المعاني المقصودة والأغراض المرجوة تكون البنيات، والمنحى الوظيفي العربي يتجلى في المزج بين النحو وعلم المعاني ويقابل المنحى الوظيفي المنحى الشكلي الصوري الذي يدرس البنيات اللغوية معزولة عن واقع إنتاجها، ومن هذا المنطلق: ما النحو الوظيفي؟

وما مبادئه الأساسية؟ وأين تتجلى ملاح الوظيفية عند علماء العربية؟ لا يمكن اعتبار أي نحو ونحوًا وظيفيًا إلا إذا روعي فيه التمثيل للوظائف التداولية، والوظيفة التداولية هي علاقة تربط بنية الجملة بالمقام الذي أنجزت فيه، والنحو الوظيفي هو تلك النظرية التي تنطلق من مبدأ أنّ بنية الجملة تخضع إلى حد كبير للوظيفة التواصلية التي جاءت لتأديتها ومن ثمة فالنحو الوظيفي كما يقول كونو "مقاربة لتحليل البنية اللغوية تعطي الأهمية للوظيفة التواصلية لعناصر هذه البنية بالإضافة إلى علاقاتها البنوية"<sup>1</sup>.

ترجع أصول نظرية النحو الوظيفي إلى هولندا وبالضبط إلى مدينة أمستردام مع مؤسسها سمون ديك (simon dik)<sup>2</sup> من خلال أبحاثه المتعددة التي رسم بها الإطار النظري و المنهجي العام للنظرية لأتباعه السائرين على نهجه، الذين أجروا دراسات لغوية متنوعة تجاوزت عقدين من الزمن، مست مجال الدلالة والتداول والمعجم والتركييب في لغات مختلفة تنتمي إلى فصائل متباينة نمطيا، كاللغة الهولندية والإنجليزية والفرنسية والعربية، تمكنت من خلالها أن تؤسس لنفسها مكانة علمية متميزة بين النظريات اللسانية المعاصرة بصفة عامة و النظريات النحوية بصفة خاصة، حيث أصبحت الوريث الشرعي للنظريات النحوية الوظيفية قبلها، وتطمح منذ الثمانينات أن تكون بديلا للنظرية التوليدية التحليلية. وفي هذا السياق لا يخفى في العالم العربي بصفة عامة وفي المغرب العربي بصفة خاصة، البحوث القيمة التي

أجراها أحمد المتوكل على النحو العربي في إطار هذه النظرية<sup>3</sup>. يعتمد النحو الوظيفي على مبادئ منهجية عامة ثابتة تمثلت فيما يلي:<sup>4</sup>

- 1- وظيفة اللغات الطبيعية " الأساسية " هي التواصل.
- 2- ترتبط البنية بالوظيفة ارتباطا يجعل البنية انعكاسا للوظيفة.
- 3- موضوع الدرس اللساني هو وصف " القدرة التواصلية" للمتكلم - المخاطب.
- 4- النحو الوظيفي نظرية للتركيب والدلالة منظور إليهما من وجهة نظر تداولية.
- 5- يجب أن يسعى الوصف اللغوي إلى تحقيق أنواع ثلاثة من الكفايات:

أ- الكفاية النفسية.

ب- الكفاية التداولية.

ج- الكفاية النمطية.

-البنية العامة للنحو الوظيفي: تتكون الجمل في النحو الوظيفي وفقا لثلاث بنيات مرتبة كالاتي:

1- البنية الحمليّة: تنقسم هذه البنية إلى قسمين: بنية الحمل وبنية الدلالة، تتضمن البنية الأولى الأطر الحمليّة الخاصة بالجملة، وتكون هذه الأطر إمّا أسماءً أو أفعالا أو صفات.

ويصنف الإطار الحملي - أيضا- إلى صنفين: محمولات وحدود.

1- المحمولات: يدل كل محمول على واقعة والوقائع حسب تصور النحو الوظيفي إما أعمال ( Action ) أو أحداث ( Precesus ) أو أوضاع ( Position ) أو حالات ( Etates )<sup>5</sup>.

2- الحدود: وتمثل هذه الحدود المشاركين في الوقائع التي يدل عليها المحمول وتنقسم هذه الحدود إلى قسمين: حدود موضوعات ( Argumants ) وحدود لواحق ( Satellites ).

أ- الحدود الموضوعات: وهي التي تدل على وظائف دلالية أساسية.

ب- الحدود اللواحق: وهي التي تدل على وظائف غير أساسية كالحده الذي يدل على الزمان أو المكان.

و الوقائع وما تؤديه الأطر الحملية ( محمولات وحدود ) من وظائف دلالية خاصة هي التي تمثل البنية الثانية وهي البنية الدلالية .  
ويمكن إجمال مكونات الإطار الحلمي فيما يلي:  
1- المحمول ومقولته التركيبية (فعل، اسم، صفة) .  
2- محلات موضوعات المحمول.

3- القيود الانتقالية بالنسبة للواقعة التي يدل عليها المحمول.<sup>6</sup> ويمكن التمثيل للإطار الحلمي للفعل (شرب) كالاتي: شرب (فعل) (حي) (سائل) (متقبل) (زمان)؛ أي أن هذا الفعل يقوم به كائن حي يقوم بوظيفة (المنفذ) ولا بد من مفعول (سائل) يقوم بوظيفة المتقبل.<sup>7</sup> وتعد البنية الحملية مدخلا للبنية الوظيفية.

**2- البنية الوظيفية** : وتنقسم إلى قسمين : البنية التركيبية و البنية التداولية .

أ- البنية التركيبية : يبرز من خلالها وظيفتان تركيبيتان فقط هما الفاعل و المفعول " ويبرز هذا التقليل للوظائف التركيبية بأن ثمة فرقا بين البنية الدلالية للجملة و بنيتها التركيبية بحيث لا ضرورة بأن تتضمن البنية الثانية جميع عناصر البنية الأولى "<sup>8</sup>  
ب- البنية التداولية : وهي البنية التي تظهر من خلالها الوظائف التداولية وهي وظائف تعتمد على السياق و المقام و العلاقة القائمة بين المتكلم و المخاطب .<sup>9</sup>

**ملاح الوظيفية عند علماء العربية**: يتميز التراث العربي بأصالة مصادره واستقلالية مناهج دراسته غير أن هذا التميز لا يجعل منه موروثا شادا لا يمكن موازنته أو تفاعله مع غيره من الفكر اللغوي البشري ، بل على العكس من ذلك يمكن إقامة " حوار مثمر بين الفكر اللغوي العربي القديم و الفكر اللساني الحديث على أساس القرض والافتراض رغم انتماء الفكرين إلى (حقلين نظريين) متباينين "<sup>10</sup>، ومثابته التراث العربي - بنحوه وبلاغته - للتراث الإنساني عامة تتيح لنا دراسته وفق ما أنتجته النظريات اللسانية الحديثة مع مراعاة خلفياته وأبعاده الفكرية واحترام خصوصياته ، و في الدراسة الوظيفية نجد الكثير من الآراء والمصطلحات المتفرقة لعلمائنا من أمثال الخليل و سيبويه و الفراء وابن جني و عبد القاهر والسكاكي وغيرهم ، " وما خلفه البلاغيون بعد عبد القاهر والأصوليون من درس وظيفي لظواهر

التركيب ، يجب الاستفادة منه أيضا لأن هؤلاء تفوقوا على النحاة في تحليل معاني التركيب و دلالاته و أساليبه <sup>11</sup> ، ومن بين الملاحح الوظيفية في تراثنا ما يلي:

**1- التركيب الإسنادي** : تتألف الجملة من مسند وهو محكوم به ، ومسند إليه وهو محكوم عليه ، وما زاد عليهما فهو قيد أو فضلة متمم ، يقول الدكتور يحي أحمد : " وطبقا لمفهوم دينامية الاتصال فإنّ هناك ثلاث وحدات وظيفية في الجملة : المسند وهو ينقل أقل درجة من دينامية الاتصال ، المسند إليه وهو ينقل أعلى درجة من دينامية الاتصال ، وبعد هاتين الوحدتين أو قبلهما أو بينهما تأتي الوحدة الانتقالية Transition وتكون غالبا من العناصر الإضافية (الظرف، الحال) أو العناصر التي نحتاج إليها لاستقامة الجملة نحويا ( أدوات النسخ ، أدوات الشرط الخ) <sup>12</sup> ، وعند المناطقة تتكون العبارة من عنصرين متلازمين هما :

1- الموضوع ( المخبر عنه ، والموصوف ، والمسند إليه).

2- المحمول ( المخبر به، والصفة، والمسند). فعملية التفكير تقوم على ثلاث وظائف هي: التصور (عرض الموضوع) ، والحكم (التعبير عن المحمول) ، والمحاكمة ( الربط بين حكيم لاستنتاج حكم ثالث)، وهذا يصدق على جميع الألسن <sup>13</sup>.

وتتكون الجملة في النحو الوظيفي - كما سبق بيانه- من المحمول ومقولته

التركيبية ( فعل ، اسم ، صفة ) ويقابل هذا في نحونا العربي ( المسند).

- الحدود الموضوعات: وهي التي تدل على وظائف دلالية أساسية، ويقابله (المسند إليه).

- الحدود اللواحق : وهي التي تدل على وظائف غير أساسية كالحذ الذي يدل على الزمان أو المكان ، ويقابل كذا كل ما زاد عن طرفي الإسناد . وقد اعتمد نحائنا- الوظيفيون منهم - منطلق الإسناد ووضعوا سلمية لمكونات الجملة ؛ فالجملة الفعلية : شرب محمد شايا صباحا في المقهى ، مثلا تتكون حسب ما يقتضي الفعل من الفاعل ثم المفعول به ثم الزمان ثم المكان ... وهذه السلمية نفسها تحدد رتبة المكونات داخل الجملة بنفس الترتيب المذكور ، وهو ما تقر بعضه نظرية النحو الوظيفي ، ففيها يوالي الفعل رتبة المكون الفاعل ثم المكون المفعول أمّا المكونات الأخرى ( المكونات الحاملة للوظائف الدلالية " الزمان " و" المكان " و" الحال " و" العلة " ...) فلم تُجب عن

السؤال المطروح حول الترتيب فيما بينها<sup>14</sup>. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ نظام ترتيب مكونات الجملة العربية نظام مرّن يخضع لمناسبات القول و أغراض التواصل ، فقد يخالف متعاده لتحقيق معنى بعينه أو دلالة مقصودة

**2- المقام وسياق الحال ( البعد التداولي) :** أورد الجرجاني عن يعقوب بن اسحاق الكندي وأبي العباس ( ثعلب أو المبرد) حادثة نلمس فيها العلاقة بين معنى الكلام و المقام الذي يرد فيه ، هذا نصها : " روي عن ابن الأنباري أنه قال : ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس وقال له : إني لأجد في كلام العرب حشوا ، فقال له أبو العباس : في أي موضع وجدت ذلك ، فقال له : أجد العرب يقولون : (عبد الله قائم ) ، ثم يقولون ( إنّ عبد الله قائم) ، ثم يقولون : ( إنّ عبد الله لقائم) ، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد ، فقال أبو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فقولهم (عبد الله قائم) : إخبار عن قيامه ، وقولهم : ( إنّ عبد الله قائم) جواب عن سؤال سائل، وقولهم : ( إنّ عبد الله لقائم) ، جواب عن إنكار منكر قيامه ، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني، قال : فما حار المتفلسف جوابا "15، و يقول ابن خلدون "ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الإعراب و الإبانة ، ألا ترى أنّ قولهم "زيد جاءني " مغاير لقولهم " جاءني زيد " من قبل أنّ المتقدم منهما هو الأهم عند المتكلم، فمن قال " جاءني زيد" أفاد اهتمامه بالمجيء قبل الشخص المسند إليه ومن قال " زيد جاءني " أفاد أنّ اهتمامه بالشخص قبل المجيء المسند و هكذا التعبير عن أجزاء الجملة بما يناسب المقام من موصول أو مبهم أو معرفة "16، وهذا ما يصطلح عليه في النحو الوظيفي بالبوّرة " وهي المسندة إلى المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزا في الجملة "17 و هي من الوظائف التداولية كما سبق بيانها.

ومن عوامل تحديد المعنى الوظيفي السياق الإبلاغي للكلام فلا يفهم الكلام ولا جدوى من تحليله إلاّ في إطاره و إلى هذا ذهب سيبيويه فقال في سياق حديثه عن مجيء الحال بعد الضمائر المسندة إليها في مقام الفخر أو الوعيد أو التصغير للنفس " وقد تقول هو عبد الله، وأنا عبد الله ، فاخرا أو موعدا، أي اعرفني، بما كنت تعرف وبما كان بلغك عني ثم يفسر الحال التي كان يعلمه عليها أو نبلغه فيقول، أنا عبد الله كريما جوادا، وهو عبد الله شجاعا بطلا وتقول ، إني عبد الله مصغرا نفسه لربه،

ثم يفسر حال العبيد فتقول آكلا كما تأكل العبيد<sup>18</sup>، يلتقي هنا نظر سببويه للسياق والمقام مع أحدث النظريات اللغوية ففي تحليله للخطاب يركز على فهم المخاطب والسياق الخارجي للكلام، وهما عنده في كثير من الأحيان أهم من التراكيب و الألفاظ ذاتها فقد يستغني عن هذه البنيات ويستعاض عنها بالسياق و الموقف الاستعمالي للكلام .

وقد اشتهرت مع السكاكي مقولة ( لكل مقام مقال ) حيث وضع في المفتاح مبحثاً بهذا العنوان يتناول فيه المقام الذي يمثل أهم محددات الرسالة اللغوية ، ونجده يتحدث عن اختلاف وظائف الكلام ومقاماته وتبعاً لذلك بنياته اللغوية فيقول " لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية ، ومقام التهئة يباين مقام التعزية ... ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر " <sup>19</sup> ويقول أيضا " فلكل كلمة مع صاحبها مقام ، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به وهو الذي نسميه ( مقتضى الحال ) ، فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم ، فحسن الكلام تجريده عن مؤكدات الحكم ، وان كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحسن الكلام تحليله بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفا وقوة " <sup>20</sup> وتمتاز اقتراحات السكاكي في مفتاحه عن باقي ما ورد في وصف الظاهرة بأنها تتجاوز الملاحظة الصرف وتحمل أهم بذور التحليل الملائم للظاهرة أي التحليل الذي يضبط علاقة المعنى " الصريح" بالمعنى المستلزم مقاميا ويصف آلية الانتقال من الأول إلى الثاني بوضع قواعد استلزامية واضحة، وهذا بالإضافة إلى ميزة أخرى هي أنّ تععيد السكاكي للاستلزام التخاطبي وارد مؤطرا داخل وصف لغوي شامل يطمح لتناول جميع المستويات اللغوية ( أصوات ، صرف ، نحو، معاني ، بيان...<sup>21</sup> وهذا من صميم الدرس النحوي الوظيفي المرتبط ارتباطا وثيقا بالبلاغة ومراعاة المقام، تحقيقا للكفاية التداولية التي نادى بها أصحاب نظرية النحو الوظيفي.

**3- الوظيفة الأساس للغات التواصل:** يعرف ابن جني اللغة بقوله : " أما حدها فهي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " <sup>22</sup> فالإنسان يختار من الأصوات ما يعبر به عن أغراضه وما يلائم مقاصده وما يفصح به عما يختلج في صدره وما يجول في

خاطره ، ولهذا "كانت الغاية القريبة و البعيدة التي يرمي إليها كل تعليم للغات الحية هو تحصيل المتعلم على القدرة العملية على تبليغ أغراضه بتلك اللغات وفي نفس الوقت على تأدية هذه الأغراض بعبارات سليمة ، أي من تلك التي تنتمي إلى ما تعارفه الناطقون بها أوضاعا ومقاييس"<sup>23</sup> ، وقد أشار الجرجاني في أكثر من موضع في كتابه الدلائل إلى أنّ وظيفة اللغة الأساسية هي نقل ما يقصده المتكلم إلى السامع وبهذا يتم التواصل بين الطرفين ، قال : " وكان مما يعلم ببدائه المعقول أنّ الناس إنّما يكلم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده، فينبغي أن ينظر إلى مقصود المخبر من خبره وما هو "<sup>24</sup>، ويقول في موضع آخر: " وجملة الأمر أنّ الخبر وجميع الكلام معان ينشئها الإنسان في نفسه ويصرفها في فكره ويناجي بها قلبه ويراجع فيها عقله ، وتوصف بأنها مقاصد و أغراض "<sup>25</sup>.

4- **تبعية البنية للوظيفة** : البنية بألفاظها وتراكيبها تأتي لخدمة وظيفة التواصل وأداء المعاني وهذا ما عناه ابن جني بقوله : " فكان العرب إنّما تحلي ألفاظها وتدبجها وترخرفها عناية بالمعاني التي وراءها وتواصلها بها إلى إدراك مطالبها "<sup>26</sup>، كما تتجسد علاقة البنية بالوظيفة عند الجرجاني فيما أسماه بمصطلح الوجوه و الفروق وذلك بأن المتكلم يختار وجوه و أشكال التراكيب التي تخدم الأغراض التي ينشدها وكل وجه يصح في مقام خاص به دون غيره وقد تتعدد وجوه المعنى النحوي الواحد ، والفروق هي المعاني المترتبة عن هذه الوجوه ، كما أنّ الجرجاني يكون قد قصد بالفروق القيم الخلاقية أو فكرة المقابلة بين المعنى والمبنى وبين المعنى و المعنى ولهذا طلب أن ينظر إلى صور التعريف والتنكير والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار مؤكدا أنّ التعبير بكل نمط شكلي يعتبر تعبيراً عن المعنى الوظيفي لهذا النمط، يقول الجرجاني: " لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيد منطلق و زيد ينطلق، وينطلق زيد، وزيد المنطلق، و ....في الشرط و الجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك ك إن تخرج أخرج، وإن خرجت خرجت، وإن تخرج فأنا خارج، وأنا خارج إن خرجت ، وأنا إن خرجت خارج ، ... فيضع كلا من ذلك في مكانه ويستعمله على الصحة وما ينبغي له "<sup>27</sup>، فالوظيفة التداولية تفرض على



المتكلم أن يختار للغرض الذي يؤم الوجه أو التركيب الذي يلائمه، وفي هذا يقول الجرجاني: "واعلم أننا لم نوجب المزية من أجل العلم بأنفس الفروق والوجوه، فنستند إلى اللغة ولكننا أوجبناها للعلم بمواضعها وما ينبغي أن يضع فيها، فليس الفضل للعلم بأن (الواو) للجمع و (الفاء) للتعقيب بغير تراخ و (ثم) له بشرط التراخي، وإن لكذا و إذ لكذا؛ ولكن لأن يتأتى لك إذا نظمت وألفت رسالة أن تحسن التخيير و أن تعرف لكل من ذلك موضعه".<sup>28</sup>

**5- تحقيق الكفاية النفسية** يسعى النحو الوظيفي - كما سبق الإشارة - إلى تحقيق الكفاية النفسية في إنتاج الكلام وفي فهمه، و الجرجاني يركز على الواقع النفسي لناظم الكلام سواء منه ما تعلق بما يسبق الحديث؛ أي الخفيات الفكرية و الدوافع النفسية الموجهة للمتكلم، فلا يكون الكلام واقعا حتى تنتظم معانيه في نفس صاحبه، يقول الجرجاني: "وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس"<sup>29</sup>، ويقول في موضع آخر: "فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق"<sup>30</sup>، وأما ما تعلق بتأثير الكلام في المستمع وتوجيه فكره أ و التمكن من مشاعره ورغبات نفسه، فالجرجاني ينقل لنا بتعبير دقيق مواصفات الكلام المؤثر والمحقق للواقعية النفسية، ويربط ذلك بمقامات الكلام وحالات الخطاب و أغراضه، فنجده يصور لنا متى يكون التمثيل (التشبيه) محققا للكفاية النفسية بقوله: "واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه فالتمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة، و أكسبها منقبة، ورفع من أقدارها وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها و استثارها من أقاصي الأفتدة صباية وكلفها و قسر الطباع على أن تعطى محبة و شغفا، فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهز للعطف وأسرع للإلف، وأجلب للفرح، وأغلب على الممتدح، وأوجب شفاعا للمادح وأفضى له، يغرّ المواهب و المنائح وأسير على اللسن و أذكر وأولى بأن تعقله القلوب و أجدر، وإن كان نَمَا كان مسّه أوجع، ومسمعه أذع، ووقعه أشد..... وإن كان وعظا كان أشفى للصدر و أدعى للفكر و أبلغ في التشبيه

والزجر وأجدر بأن يجلي الغياية ويبصّر الغاية ويبرئ العليل ويشفي الغليل<sup>31</sup>، فقد ألح الجرجاني بكلامه هذا على تحقيق الكفاية النفسية في الكلام ، فقد كان له دور متميز في إبراز العلاقة بين صياغة الكلام وما يصحبها من عوامل نفسية توجّه إنتاج الكلام " وعبد القاهر قد استمد هذا الإطار الفكري من مذهب الأشاعرة في مسألة الكلام النفسي فلقد كان سابقا بعدة قرون للدراسات اللغوية النفسية الحديثة التي تتناول إنتاج النص اللغوي<sup>32</sup>.

من خلال هذه القراءة لبعض ما جاء في تراثنا اللغوي ندرك إجماع " البلاغيين والأصوليين على أنّ موضوع الدراسات اللغوية هو رصد خصائص التراكيب في علاقتها بأنماط المقامات التي يمكن أن تتجز فيها وبالأغراض التواصلية التي يمكن أن تستعمل لتحقيقها ، ففي جميع الدراسات التي اقترحت في إطار البلاغة والأصول، يُلاحظ هاجس وصف الرابط القائم بين أنماط التراكيب وما يطبقها من أنماط مقامية، ويرد في أوائل فصول دلائل الإعجاز نص يبرز تصور الجرجاني للنحو، مفاد هذا النص أنّ النحو الذي يُعنى بالإعراب وما شاكلة من المسائل اللفظية الصرف لا يمكن أن يُعدّ نحواً وأنّ النحو هو الوصف الذي يجاوز رصد الخصائص اللفظية إلى رصد العلاقات القائمة بين اللفظ والمعنى باعتبار المعنى مجموع الوسائط التي تتفاعل في تحديد الصورة التركيبية للجملة، وبهذا المعنى ، يمكن أن نقول إنّ النحو الذي كان يدعو إليه الجرجاني ( ومن هذا حذوه من البلاغيين والأصوليين ) نحو " وظيفي " باعتبار قيامه على مبدأ ضرورة الربط بين بنية اللغة والوظيفة التي تؤديها في التواصل<sup>33</sup>.

## الهوامش

- 1 Kuno, fonctionnel syntaxe ، نقلا عن اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري) ، أحمد المتوكل ، ص 104.
- 2 - سمون ديك باحث هولندي، ولد في هولندا سنة 1940، درس في البداية اللسانيات اللاتينية في كلية الآداب بجامعة أمستردام التي شغل فيها منصب عميد، ثم النحو الوظيفي الذي يعد أول مؤسس لنظريته التي حملت هذا الاسم في كتابه الأول سنة 1978، fonctionnel Grammaire ، ثم أصبحت معروفة باسم نظرية النحو الوظيفي منذ سنة 1988 إلى اليوم.
- 3 - ينظر: يحي بعيطيش ، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي ، رسالة دكتوراه ، مخ ، ص 69.
- 4 - ينظر: أحمد المتوكل - دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1986، ص9. اللسانيات الوظيفية ، ص78 ، الوظائف التداولية ، ص 10.
- 5 - دراسات في نحو اللغة الوظيفي ، ص12.
- 6 - المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية - الوظيفة المفعول في اللغة العربية - دار الثقافة للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء ، 1987، ص16.
- 7 - عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، دار الإسرائ، عمان الأردن، ط1 ، 2002 ، ص 331.
- 8 - يحي بعيطيش ، النحو العربي بين التعصير و التيسير ، أعمال ندوة تيسير النحو العربي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ، المكتبة الوطنية بالحامة ، الجزائر ، 2001، ص125.
- 9 - الوظائف التداولية حسب النحو الوظيفي تنقسم بالنسبة للحمل إلى وظائف داخلية وهي ( البؤرة والمحور ) ووظائف خارجية وهي ( المبتدأ و الذيل و المنادى ) ، ينظر : المتوكل ، الوظائف التداولية في اللغة العربية .
- 10 - الوظائف التداولية، ص183.
- 11 - عبد الجبار توامة ، المنهج الوظيفي العربي الجديد ، لتجديد النحو العربي ، أعمال ندوة تيسير النحو العربي ، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ، المكتبة الوطنية بالحامة ، الجزائر ، 2001، ص277.
- 12 - أحمد علي ، الإتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ، مجلة عالم الفكر "الألسنية " ، وزارة الإعلام - الكويت- مج :20، العدد:3 ، 1989، ص78.
- 13 -أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، دار الفكر ، دمشق ، ط2 ، 1999 ص240.
- 14 - المتوكل، الوظائف التداولية، ص50.
- 15 - الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده 1960، ط6 ، تح ، محمد رشيد رضا ، ص312.

- 16 - مقدمة ابن خلدون ، دار الجليل ، بيروت ، (دت) ، ص609.
- 17 - الوظائف التداولية ، ص28.
- 18 - سيوييه ، الكتاب ،تح عب السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1991 ، ج2، ص80.
- 19 - مفتاح العلوم ، تحقيق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، 1987 ، ص 168.
- 20 - المفتاح ، ص169.
- 21 - المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص96.
- 22 - ابن جني، الخصائص، المكتبة التوفيقية، تح ، عبد الحكيم بن محمد ، ج1 ، ص33.
- 23 - عبد الرحمان حاج صالح، الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي، ص19.
- 24 - الدلائل، ص 488.
- 25 - نفسه، ص487.
- 26 - الخصائص، ج1، ص 220.
- 27 - الدلائل، ص127.
- 28 - المرجع نفسه، ص261.
- 29 - نفسه، ص102.
- 30 - نفسه، ص 184
- 31 - الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، ص 92 وما بعدها.
- 32 - تمام حسان / مقدمة كتاب روبرت دي بوجراند : النص والخطاب والإجراء، عالم الكتب، القاهرة، ط1 ، 1998 ، ص5.
- 33 - المتوكل، اللسانيات الوظيفية، ص 96-97.